رواية

انتفاضة على ضفاف النيل

دكتور

سعد بدير الحلوانى

أستاذ التاريخ الحديث م بجامعة الأزهر

والملك سعود – والملك خالد



إهداء

الى ابنتى الحبيبة......

أميـــــــــــــرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله خير البشرية وهادى العالمين الى سواء السبيل،،

وبعد

فقد أردتُ من خلال هذه الرواية (الحقيقية والواقعية بنسبة أكثر من تسعين بالمائة) أن أشارك بلبنة فى سبيل لم الشمل العربى ، ورأب الصدع فى مواجهة الخطوب والأخطار التى نواجهها جميعا كعرب .

أردتُ أن أقدم صورة واقعية للتكامل العربى وقت النفير وقت الأزمة عندما فزع الأخوة العرب من بلاد الحجاز واليمن ونجد وعسير وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسودان فور أن علموا بنبأ استيلاء الفرنسيين على أرض مصر المحروسة

فجاءوا من كل حدب وصوب يبذلون أرواحهم بجانب إخوانهم الصعايدة المصريين ، ويشاركون فى العديد من المواقع الحربية البطولية بضراوة شديدة أذهلت القادة الفرنسيين الذين كانوا يسيطرون حينئذ بخبراتهم الحربية على العديد من بلاد أوربا ، وكانوا يحتمون خلف أسلحتهم الحديثة.

بينما الثوار العرب جميعهم كانوا لا يملكون إلا أرواحهم قدموها لحماية من خلفهم من النساء والأطفال والشيوخ فانتصروا وأرغموا المستعمر الفرنسى أن لا يبقى أكثر من ثلاثة أعوام ولم يعد من الأربعين ألفاً الذين جيئ بهم الى مصر سوى أحد عشر ألفاً رجعوا يجرون أذيال الخيبة والفشل الذريع بعدما هرب قائدهم الأعلى بونابرت قبلهم الى فرنسا وبعدما قتل العديد من قادتهم وضباطهم ، وكان من بين العائدين العديد من الجرحى والمشوهين .

وسطر العرب بجانب أهل الصعيد صفحات مشرقة نادرة نقدمها اليوم كنموذج يُقتَدى ويُهتَدى به فى عالمنا وأحداثنا المعاصرة .

والله من وراء القصد يهدى وينير ،،

المؤلف

د. الحلوانى

م نصر – القاهرة فى ١/٣/٢٠٠١م

خبر الفرنسيين فى مكة

دخل الحاجب على أمير مكة المكرمة يعلن وصول البريد من مصر :

سمو الأمير وصل ساعى البريد من مصر ويتعجل المثول بين يديك ، يبد وأنه يحمل أخباراً على درجة عظيمة من الأهمية .

بادره الأمير غالب بلهفة : أدخله حالاً ٠

غريب أنه تأخر أياماً عديدة ليست عادته التأخير كل هذه الأيام ، احمله إلينا حملاً أيها الحاجب .

اللهم اجعله خيراً ٠

"يدخل ساعى البريد وعليه وعثاء السفر مرهق البدن وعلى ملابسه تبدو الأتربة المختلطة بعرقه :-

السلام عليكم سمـــو الأميـــر فيرد : وعليكم السلام يا رائحة الحبايب تأخرت علينا بأخبـــار أم الدنيـــا إيش أخبـــار المحروسة يـــا رجل خذ نَفسَك هرج " اتكلم " هات مـــا عنـــدك •

منكسراً بعض الشئ يرد ساعى البريد : " والله الأخبار لاتسر عدو ولا حبيب الفرنسيس دخلوا الإسكندرية ، وإخواننا المصريون يقاومون بصعوبة شديدة ، الأسلحة فتاكة وجديدة علينا ، وبونابرت يقود رجاله أربعين ألفاً متجهين للقاهرة •

يكبر الأمير (وهو مغتم) الله أكبر على من طغى وتكبر الله أكبر على بونابرته وأعوانه ٠

أصوات ناقمة وساخطة فى مجلس الأمير ، وكلمات ضيق وضجر تصدر من جنبات قاعة المجلس ٠

ثم تتلوها أصوات آتية من بعيد من خارج القصر تبدو كأنها هتافات عامة الناس من المسلمين فى مكة (أهل الحجاز والمجاورين من شتى البلاد الإسلامية ومعهم المعتمـــرين كذلك من نجد والمنطقة الشرقية ومن الجنوب) خليط من المسلمين الغاضبين .

عندما تقترب أصوات الهتافات تظهر بوضوح : يسقط الغزاة المحتلون – يسقط الفرنجة – الجهاد

– الجهاد يا عرب ، الموت للأعداء – النصرة ياعرب ، وا مصراه .

يأمر الأمير حاجبه : إيش هدا ٠

شوف يا حاجب – إيش الموضوع ٠

يتجه الحاجب خارج القاعة ثم يعود بعد دقيقة :

سمو الأمير – الناس عرفوا الخبر ، وخرجوا ينادون بمناصرة إخواننا المصريين ومستعدون لعمل أى شئ فى سبيل الله وأوطاننا العربية

يتجه الأمير الى أحد مساعديه وعليه أمارات الحزم والجدية ٠

جهز ساحات لتدريب المتطوعين وأنا أولهم واستخرج من مخازن الأسلحة جميع أنواعها يتدرب عليها الناس ، وانشر الخبر فى جميع أنحاء البلاد ٠

في المسجد الحرام

يجلس الشيخ الكيلانى يتحلق حوله مجموعات كبيرة من الناس يحثهم على الجهاد ، ويؤكد على أنه فرض عين على كل مسلم نظراً لأن الأعداء (الفرنسيين) انتهكوا حرمة بلادنا الإسلامية واحتلوا جزءاً عزيزاً على نفوسنا ، وأخذ يتلوا قول الله تعالى :-

" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم "

ثم أمرهم بالجهاد ومقاتلة العدو وهو يتلوا قول الله تعالى :-
" وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ٠٠٠٠"
ويؤكد للناس أنه سيكون بينهم فى ساحات التدريب وأيضاً على رأس المسافرين إلى مصر لطرد الفرنسيين وتطهير بلاد المسلمين كلها منهم ٠
عاهدونى أيها الناس على التجمع فى الساحات والسفر الى مصر ٠
والناس يجيبونه :-
نحن معك فى التدريب ومستعدون لقتال الفرنسيين جنباً لجنب مع إخواننا المصريين ٠
أما أمير مكة الأمير غالب فينطلق ومعه قادة جنده إلى مخازن السلاح فى مكة ، ويأمر الخازن بإخراج

مجموعة كافية من البنادق والسيوف والخناجر والرماح ، ويقول فيمن حوله حديثاً ينم عن حب أهالى شبه الجزيرة بخاصة والمسلمين بعامة لمصر ، ولوصاية الرسول (ص) بأهلها ، وبها وعن الوشيجة الدينية التى تربط الجميع ثم ينطلق يصاحبه قادة جيشه ومعهم الأمير حسن (أمير ينبع) إلى ساحات التدريب حيث يشارك بنفسه مع رجاله الذين يقومون بتدريب المتطوعين من أهالى الحجاز ونجد والجنوب،وكذلك المجاورين الذين كان من بينهم مغاربة وأبناء شبه الجزيرة العربية من نجد وعسير والشام،والعراق،وغيرهم ٠

كما تظهر هنا فى الساحات الروح القتالية العالية التى يبثها فيهم الداعية الشيخ الكيلانى ، ويتميز الجميع بلبس العمائم الخضراء التى تلازمهم طوال جهادهم ابتداءاً من التدريب،وحتى ساحات القتال ٠

فى جانب من جوانب التدريب يلاحظ الشيخ الكيلانى شيخاً كبيراً يلبس رداءاً حجازياً وبجواره شاب فى الثلاثين من عمره بملابس مصرية وآخر فى العشرين بملابس حجازية يتبادلون الحديث بحرقة ومرارة وهم يبكون بكاءاً حاراً فيقترب منهم الكيلانى متسائلاً :

ما يبكيك يا شيخ ، ومن هذين الشابين بجوارك ؟!

فيجيب الشيخ الكبير : إنت مش عارفنى ياعمى كيلانى أنا حسانين الصعيدى هَّملت أهلى وناسى بناتى وأولادى فى جنا وجيت للحج جلت أجاور يم بيت الله وبجالى عشرين سنة وزيادة هنا اتزوجت من هنا من مكة وخلفت ولدى سلمان ده وعندى بتين كمان ٠

فبادره الكيلانى : ومن يكون الثانى الباكى بجوارك ؟ ده عثمان ولدى الكبير جاى من الصعيد علشان يطمئن على أبوه ويرجعنى لأهلى فى مصر ياعمى كيلانى ٠

جعدت محتار بين ولادى هنا وولادى هناك لحد ما سمعت اللى حُصُل من الفرنسيون فى مصر • وانهم رايحين على الصعيد •

لازم أرجع مصر يا عمى كيلانى أحمى بيتى وأهلى وحريمى وأرضى ودينى ، لازم نبعد ولاد الهرمة دول عن أرضنا •

فيرد الشيخ الكيلانى :

كلنا فداء لديننا ولأرضنا ولعرضنا كلنا فداء لأم الدنيا ياحسانين ، هوه إحنا نساوى حاجة من غيرها ياشيخ نكمل تدريبنا ونتوكل على الله جميعاً إلى مصر •

في جدة

وعلى جانب آخر أمر الأمير غالب بجلب العمال والفنيين المهرة لإصلاح سور جدة وإقامة المتاريس ، وأعمال تحصين الميناء والمدينة ترقباً لاحتمالات تفكير بونابرت في غزو الحجاز ، كما أمر بعمل حراسات مستمرة على طول سواحل الحجاز .

وظلت الساحات التى نصبت للتدريب فى مكة عدة أيام جادة فى استقبال المتطوعين الذين يشاركون فى هذا المعسكر ويستعدون للرحيل إلى مصر عن طريق ينبع فالقصير ٠

في ينبع

يتوافد المتطوعون إلى ينبع يتقدمهم الشيخ الكيلانى،والأمير حسن برفقة الشيخ الهرم حسانين الصعيدى ومعه ولده الأكبر(من المصرية) عثمان ، وولده الأصغر(من الحجازية) سلمان اللذان يقومان بنشاط ملموس وهمة دؤوبة لخدمة المتطوعين إعترافاً بدورهم وتطوعهم المحمود،ويأخذان بأيديهم لركوب السفن حتى بلغ عددهم ما يقرب من ألفى متطوع ، وينتهى مشهد توافد الناس على ركوب السفن ، واستعداد البحارة لشق عُباب البحر .

بصمت يقطعه نداء يأتى من بعيد من نفر يجدُّون فى المسير للحاق بركب المجاهدين المتطوعين :-

يا شيخ كيلانى يا شيخ كيلانى – يا أمير حسن انتظروا خذونا معكم – الرفقة يا رجال ٠

يقترب الرجال الذين تبدوا عليهم أمارات الجد والشهامة والصرامة، وأثر السفر الطويل ، وما أن يصلوا إلى الشاطئ حتى يبادرهم الشيخ الكيلانى : من أنتم يا رجال ٠

فيجيب أحدهم : نحن أكثر من مائتى رجل تعاهدنا على الجهاد وجئنا من نجد ومن الرياض والدرعية والقصيم وغيرها ٠

مشينا فى سبيل الله عندما بلغنا خبر استيلاء بونابرته على مصر ، وهناك أعداد أخرى تتجمع للمشاركة فى الجهاد بجانب إخواننا المصريين ٠

فيجيب الشيخ الكيلانى : بارك الله فيكم يا رجال هذه هى نخوة وفزعة العرب ، ومن يصل بعد يركب السفن ، ويلحق بنا هناك فى الصعيد ٠

وفى القصير

يصل ركب المتطوعين ويستقبلهم مجموعة من أهل الصعيد ، ثم يجدون فى المسير إلى قنا ليلتحقوا بالثائرين والمقاتلين من أهل الصعيد ، ومن معهم من المماليك ٠

ولكنهم يفاجئون بوصول أسطول فرنسى من السويس للاستيلاء على القصير فاعتبرها العرب وأهل القصير فرصة سانحة لضرب الأسطول الفرنسى حيث هجم عليه العرب وأهل القصير

وأطلقوا النيران على رجاله مما اضطرهم للإنسحاب إلى السويس وكتب قائد الأسطول تقريراً لبونابرت عن مهمته فى القصير " أرجوا أن لاترسلنى مستقبلاً فى مهام مستحيلة التنفيذ " كهذه المهمة .

في قنا

يخرج الأهالى نساءاً ورجالاً وأطفالاً للترحيب بأهالى الحجاز ، ومن معهم من حجاج بيت الله الحرام أبناء الأقطار الإسلامية والعربية الأخرى الذين آثروا المشاركة فى الجهاد ٠

وعلى رأس المستقبلين أهل الشيخ حسانين الصعيدى الذين استقبلوا عميد عائلتهم وولده / سلمان الذى لم يروه من قبل بحفاوة ودفء وشو ٠

وفى زحمة الضيافة ، والمشاعر الفياضة ، وللقرابة الموصولة بين العرب والمصريين ، تتلاقى العيون بين سلمان بن حسانين (ابن الحجازية) مع فتحية ابنة عمه (محمدين) ويتبادلان حديث العيون فى صمت وخجل وحياء لم يفصح عنه فالأمر جلل والظروف غير مواتية لإظهار ما تلاقت عليه مشاعرهما ٠

يتساءل الشيخ حسانين : مين الصبية الغزال دى يا ولاد

فترد زوجته : دى زينة بنات العيلة دى فتحية بنت خوك يا شيخ جسانين يلتفت حسانين إلى ولده

سلمان : إيش بك سلمان ياولدى واجف خجلان ليش اتقدم سلم على بت عمك ٠

شايف بنات مصر حلوين كيف ، وبخطى ثقيلة مفعمة بمشاعر فياضة تجمعت فى التو واللحظة يتقدم سلمان بالسلام : كيف حالك يابنت عمى حياك الله فترد الصبية / فتحية : أهلاً وسهلاً مرحباً ياواد عمى ٠

يقطع الشيخ حسانين نظراتهما بحزم وجدية :-

ما فيش وجت للرغى يااخوانا يا لله يارجالة يا لله يا شباب أسرعوا الفرنسيون دخلــوا أول الصعيد لازم نصدهم ونطردهم من هنا ومن هناك يا لله يا اخوننا نحمى عرضنا وأرضنا من ولاد الفرطوشة.

يسأل الكيلانى مستقبليه :" وين الثوار يا رجال "
فيرد أحد الرجال الصعايدة : الجميع اتجهوا إلى بنى سويف للمشاركة مع مراد بك فى ضرب الفرنساويين لأن فيه أخبار إنهم طالعين على الفيوم وبنى سويف ، وفيه مجموعة بتجهز نفسها فى جنا هنا علشان تلحجهم ٠

فيرد الكيلانى واحنا كلنا معاهم هيا ٠ هيا يا رجال.

وفى الحال تظهر مجموعة من الشباب والشيوخ بملامح وملابس طرابلسية جاءوا من البلاد الليبية وطلبوا الاشتراك فى مقاومة الفرنسيين فرحب بهم الشيخ حسانين ، والشيخ الكيلانى ، وانضم الجميع إلى ركب الثوار فى طريقهم إلى بنى سويف والفيوم

في القاهرة

جلس نابليون بين مستشاريه ومترجميه لكتابة رسالة إلى أمير مكة المكرمة فيها نصب ودجل ، وأمر بنسخ العديد منها وإلصاقها بالطرق والميادين بالقاهرة ، والمدن المصرية الكبرى

خلاصة الرسالة :" أن الفرنسيين ما دخلوا مصر إلا لضرب المماليك الظالمين للشعب العربى المصرى ، وأن العديد من العلماء ذهبت لبونابرت فأمَّنهم ، وأعطى الأمان كذلك للأهالى ، وأن الفرنسيين هم أصدقاء السلطان العثمانى المسلم ، وهم أعداء أعدائه وأنهم قاموا بسك العملة باسمه ، وكذلك الخُطْبة على المنابر ، كما أن شعائر الإسلام تبقى مقامة كما هى

، ويحترمون القرآن والنبى ، وأنهم وصّلوا الحجاج بأمان ، كما احتفلوا بالمولد النبوى ، وأنفقوا الأموال على الفقراء والمحتاجين " ٠

وهنا يعترض أحد مساعديه ٠

فيسأله : إيه ياعمنا بونابرت الإسلام بيشر منك إيه الحكاية ياكوماندا ٠

فيرد : ده دجل ياعبيط ، زى ما بيأول المثل المصرى : ده ضحك على الدقون ٠

ده دجل بس من أعلى طراز ٠

اثنان من كبار مساعديه يتهامسان فيما بينهما :-

الأول : الكوماندا إما إنه أسلم فعلاً أو إنه بيفكر فى الموضوع .

الثانى : إيه التخاريف اللى بتقلها دى يامسيو ؟!

الأول : أنا سامع بنفسى الكوماندا بيقول للشيخ المسيرى (من كبار علماء الأزهر) بإخلاص :-

أنه ينوى إقامة حكومة موحدة تقوم على مبادئ القرآن ،التى هى وحدها المبادئ الحقة القادرة على إسعاد الناس .

ثم أمر بونابرت بإرفاق مجموعة من الرسائل : إلى زعماء الهند ، وأمراء الخليج خاصة إمام مسقط ، والقنصل الفرنسى فى مخا باليمن مع رسالة أمير مكة ليقوم الأخير بإرسالها إلى أصحابها فى محاولة من بونابرت لكسب بعض المؤيدين لفرنسا فى منطقة الخليج والهند..

في مكة المكرمة

يدخل ساعى البريد على الأمير فى مجلسه ، ويلقى السلام .

ثم يخبره : المرة دى أحمل رسائل من بونابرته شخصياً سمو الأمير ٠فيجيبه : وعليك السلام هات ما عندك خير اللهم اجعله خيراً ٠

ولو أن الغزاة ما يجى من وراهم خير أبد ، ويلتفت الى من بجواره : أليس كذلك فيرد الجميع : بلى سمو الأمير .

فيجيبه الساعى : نابليون بونابرته يطلب فى رسالته استمرار حركة التجارة بين مصر والأرض المباركة فى شبه الجزيرة من الحجاز ، وهذه هى رسالته

تفضل يا سمو الأمير وحملنى كذلك مجموعة من الرسائل حتى ترسلها إلى أصحابها ٠

هنا ينفعل الأمير : مخبول دا بونابرت وإلا ايش ٠ إيش علاقتى أنا بإرسال الرسايل ما أنا ساعى بريد، ولا باشتغل عند أهله ٠

يحاول ساعى البريد أن يهـدئ من روع الأمير بقولـه : العفو سمو الأمير ٠

فالسواحل المصرية محاصرة من المراكب والسفن الحربية الانجليزية ، وليس عنده طريق آخر آمن لإرسال الرسائل ٠

وعلى اثر ذلك اجتمع الأمير مع مستشاريه وأولى الأمر من رجال الحل والعقد للتشاور فى أمر

استمرار التجارة ، وفى الرسائل المراد توصيلها إلى أصحابها •

الأميـــر : إيش رأى المجلس أبـــغى أسمع رأى الشيـــوخ والقضاة ، ورجال الإفتاء •

إيش رأيك يا قاضى القضاة

الذى يرد : " الرأى رأيك سمو الأمير لكن مسألة التجارة ووصولها إلى مصر ليس من أجل عيون الفرنسيين ولا صارى العسكر حجهم بونابرت هدا ، إنما إذا وافقنا على استمرار التجارة يكون من أجل إخواننا المصريين فقط ، وحتى ما تتأثر عوايد التجارة عندنا ، ولا عندهم •

طال عمرك ما نجدر نمنعها واخواننا فى حاجة إليها

وما رأيك يا شيخ الفتوى ؟ يرد المفتى : طال عمرك الرأى عندك بجواز استمرار حركة التجارة ، وكذلك حتى لا يمنع الفرنسيون وصول الحجاج والمعتمرين إلى بيت الله الحرام •

ينبرى كبير الضباط وقد طلب الحديث فيشير له الأمير : والله نحتاج رأيك العسكرى فى هذا الأمر الاقتصادى الاجتماعى يا كابتن فيرد قائلاً : أعتقد أن فى استمرارية التجارة بين الجانبين يجعلنا على اتصال دائم بالحالة فى مصر ، ويمكننا متابعتها من خلال ما يشاهده تجارنا •

وما ينقلوه من أخبار أهالينا فى المحروسة •

إذا الرأى باستمرار التجارة ، وكذلك سوف أرسل تجارتى مع الآخرين ، أما الرســـائل الأخـــرى فسوف يحملها البـــريد الى مقـــــاصدها.

فى جرجا (الصعيد) ٠

فى جرجا نلاحظ حركة عسكرية حيث انتهى المقام لمراد بك (قائد المماليك) وجنده . الجميع يترقب وصول مبعوث خاص من بونابرت هو : " كارلو روزيتى" القنصل النمساوى بالقاهرة حيث يستقبله مراد بك بحفاوة بالغة نظراً للصداقة السابقة بينهما ويدور بينهما الحوار التالى :

مراد : أهلاً أهلاً مسيو روزيتى نورت الصعيد

روزيتي : حبيبى الصعيد منور بصحباته وبصحابه مسيو مراد بيك .

مراد : بلغنى أنك تحمل أخباراً وعروضاً فرنسية سمباتك ٠

روزيتي : أيوه خبيبى هو الكوماندا بونابرت

مراد : يقاطعه : كوماندا على نفسه جاته خيبة دا الانجليز دمروا سفنه فى أبى قير الأسكندرية ، أصبح العدو خلفه ٠

دول الانجليز فى البحر ، وأسود المماليك أمامه دلوجتى يبجى كوماندا على مين ، يمكن كوماندا على سكارى الفرنسيون بس ، أما علينا إحنا فنحن نستطيع أن نكمل ما بدأه الانجليز ونحطه بين

الكماشة هو والجميلات اللى معاه ، خاصة الزنجية التى لاتفارقه ٠

المهم إيه عروض البونابرت صاحبك ياروزيتى

روزيتى : أنا صاحبك إنت ياعمى مراد خبيبى ٠

بونابرت يعرض عليك تحكم إقليم جرجا بالصعيد وتوفر على نفسك وعليه الحرب ٠

مراد : إيه تانى ٠

روزيتى : توقيع معاهدة واتفاق باللغتين العربية والفرنسية مؤلفة من :-

(يقوم روزيتى بفتح ملف يقرأ منه بنود الاتفاقية المقترحة من نابليون)

وأهم بنودها كالآتى :-

مادة أولى : يبقى مع مراد بك ٥٠٠ أو ٦٠٠ من الفرسان تساعده على حكم مديرية جرجا من شلال أسوان حتى جرجا ويؤمنها من هجمات البدو ٠

مادة ثانية : يعترف مراد بأن الحكم تابعاً لفرنسا ويدفع لخزانة الجيش الفرنسى الخراج ٠

مادة ثالثة : يتعهد القائد العام (بونابرت) أن لايحتل جنوده أى جهة من مديرية جرجا وأن يترك ادارتها لمراد بك ٠

مادة رابعة : على مراد بك أن يرجع برجاله الى ماوراء منطقة مديرية جرجا فى مدى خمسة أيام ،ولا يتخطى أحد من رجاله حدودها إلا بعد إذن من القائد العام ٠

مراد : قول لبونابرته ياخد عساكره ويرجع اسكندرية ويشوف له طريقة يرحل بها إلى خمارات باريس وفرساى بس لازم يلبس طاقية الاخفا علشان يمر دون أن يلحظه الانجليز وإلا سكّنوه سفنه الرابضة فى قاع المتوسط يأكله السمك ، وتتخطفه الغربان .

واحنا ياعم روزيتى حندفع له عشرة آلاف كيس نقود ويرجع لبلاده .

إن فعل ذلك حقن دماء جنوده منى ، ووفر على مشقة تسييل دمه هو واللى يتشدد له .

وفي جرجا أيضاً :

يصل مجموعة من المغاربة يلتقون مع ثوار الصعيد والعرب الذين جاءوا من الحجاز ، وينضم الجميع الى ركب مراد بيك لينطلق متفرقا عبر طرق مختلفة ليتم اجتماعهم قرب بنى سويف ٠

حيث إن الجيش الفرنسى بقيادة ديزيه ومساعده بليار قد وصلوا إلى الفيوم يبحثون عن مراد والثوار الصعايدة ومن معهم من رجال الحجاز والمغرب وطرابلس فى الوقت نفسه كان أهالى الفيوم يجمعون رجالهم ويستعدون للانضمام إلى مراد بيك ورجاله ٠

" موقعة سيدمنت الجبل ٧ أكتوبر ١٨٩٨ "

وكان اللقاء الدامى بين الجيش الفرنسى وبين أهالى الفيوم فى البداية عند منطقة سيدمنت فى الجنوب الغربى من جبل اللاهون (التابعة الآن لمحافظة بنى سويف) وتسمى سيدمنت الجبل حيث كان مراد قد تحصن فى آكام سيدمنت وأعد عدته للانتصار على الفرنسيين وسحقهم على الرغم من معداتهم وأسلحتهم الحديثة وتدريب رجالهم وكثرة ذخيرتهم.

وكان الثوار قد تجمعوا على المرتفعات(٥آلاف)،وعندما اقتربت الجموع الفرنسية هجم عليها أهالى الفيوم بحماسة منقطعة النظير وأحاطوا بهم غير مبالين بنيران المدفعية فقتلوا من أعدائهم أعداداً كبيرة إلا أن مدفعية ديزيه ردتهم للخلف فجمعوا

صفوفهم وهجموا مرة أخرى ، ثم استخدم مراد بيك دهائه بأن أوهم الفرنسيين بأنه يتقهقر ثم صنع كميناً للفرنسيين نصب فيه بمكان عال مجموعة من المدفعية ، وتبعه الفرنسيون ٠

فأطلقت المدفعية العربية نيرانها وحصدت أرواح الجند الفرنسى وأوقعت بهم خسائر جسيمة ، وكادت الدائرة تدور على الفرنسيين لولا أن ديزيه أمر رجاله بالهجوم العام على مصدر الخطر العربى وهو المدافع فركزوا على الرجال العاملين عليها فقتلوا بعضهم ، وانسحب البعض الآخر ٠

ولما وجد مراد أن الأمر صعب استمراره لصالحه أمر بالانسحاب من أرض المعركة حفاظاً على أرواح رجاله واستعداداً لمعركة أخرى ٠

أعطت هذه المعركة دفعة معنوية للثوار العرب بأنهم قد تمكنوا من الإحاطة بالجيش الفرنسى ، وأوشكوا على إبادته كاملاً لولا المدفعية التى حصدت كثيراً من الأرواح فآثر القادة العرب وعلى رأسهم مراد بيك المملوكى الانسحاب مؤقتاً .

وأخذوا يتباحثون فيما بينهم ، واستفادوا من درس موقعة سيدمنت بأن لا يتركوا مجالاً للفرنسيين بأن يستغلوا مدافعهم المتقدمة القوية ، وأن لايقفوا أمام الفرنسيين جيشاً لجيش أى حرباً منظمة فهذا أسلوب

ثبت فشله ، وإنما تكون هناك مقاومات محلية مستمرة بفرق سريعة تقوم بالهجوم الخاطف ثم تختفى سريعاً الأمر الذى سوف ينهك قواهم ويجعلهم فى يأس من القضاء على الثورة العربية.

وكانت حصيلة المعركة متقاربة إذ قتل من الفرنسيين ٣٥٠ بينما جرح منهم ١٥٠ واستشهد من العرب والمماليك ٤٠٠ مقاتل

فى القاهرة

يستقبل بونابرت مجموعة كبيرة من الجرحى الفرنسيين المصابين فى معركة سيدمنت عند وصولهم بالمراكب إلى القاهرة ٠

ويتفقدهم بونابرت ويدير معهم الحوار التالى ٠

بونابرت : سلامات يا أسود فرنسا

مصاب لزميله : والله الأسود هم العرب اللى قابلناهم على جبل اللاهون فى سيدمنت فيرد زميله : والصعايدة ،

بونابرت : إيه حكاية عرب الحجاز دى يا شباب

مصاب : عرب الحجاز واللا أهالى الفيوم ، واللا المماليك ناس بيرموا أنفسهم على المدافع ليظهر غيرهم بسيوف وخناجر والبطش شديد يقاتلون بعفوية وبساطة وضراوة لم نستطع معها أن نحرز عليهم نصراً نهائياً

نابليون : فعلاً عرب الحجاز ، وأهالى الصعيد لايضاهى ضراوتهم إلا انحطاط مستوى معيشتهم ٠

وفى ذلك كتب الجبرتي عن هذه الواقعة :-

أن الصعايدة والعرب المماليك : " رتبوا عساكرهم طوابير ، وأكمنوا كميناً مخبورين مشاهير ، فلما تلاقت الفئتان ، وترامت الفرقتان ،وعلا بينهما الغبار،واسود وجه النهار كبست عند ذلك الطوابير بالسيوف ، فأذاقوهم كأس الخوف ، وأثخنوهم قتلاً ذريعاً ، وتركوا أكثرهم صريعاً فولوا على أدبارهم إلى جهة البحر منهزمين ، وللنجاة طالبين ، فخرج عليهم ذلك الكمين فقطع منهم الأعناق وتركهم طرحى فى الأملاق ، والذى نجا منهم بالسباحة والهرب ، تلقته طائفة العرب ، فاستأصلوا شأفتهم ،وأهلكوا كافتهم فلم يفلت منهم إلا ما ندر وغيروا

فيمن غير ، فلما تواتر هذا الخبر ،وتناقل حديثه الناس ، واشتهر سر الناس باطناً لخذلان أهل الكفر فرحوا واستبشروا ببدء خذلانهم وانشرحوا "٠

في بني سويف

يقف ديزيه ليعطى أوامره الى أحد قادة جيشه بأن يحافظ على مجموعة الجنود التى سيتركها معه أثناء سفره إلى أسيوط ويأمره بأن يعتنى بشحن الغلال والحبوب إلى القاهرة ، لتكفى احتياجات الفرنسيين فى العاصمة .

وما أن ينطلق ديزيه صوب أسيوط حتى تهجم مجموعة كبيرة من الثوار العرب وأهل الصعيد على بنى سويف وتقوم بأسر الجنود

الفرنسيين والاستيلاء على كل الغلال والحبوب التى كانت معدة للشحن •

في المنيا

كانت هناك سفينة فرنسية حربية تتجول حول المنطقة لحماية القوة الفرنسية المسيطرة على شاطئ المدينة النهرى ،واضطرت فصيلة من هذه القوة الفرنسية أن تنزل إلى أسواق المنيا لشراء بعض الطعام والمؤن،ولكن أفراد الفصيلة ، رفضوا دفع أثمان مشترواتهم فثار الفلاحون فى السوق وقتلوا خمسة من الجنود ، وجرحوا منهم ثمانية •

وكثرت هذه الأمثلة فى ضرب الفرنسيين ومقاومتهم محلياً وعسكرياً حتى تناقص عددهم من

خمسة آلاف فى البداية إلى ألفين فى خلال شهرين حيث فتك الأهالى والعرب والمماليك وكذلك الأمراض بحوالى ثلاثة آلاف منهم ٠

فى القاهرة

يعود ديزيه إلى القاهرة بعد أن استخلف بليار فى قيادة جيش الصعيد الفرنسى فى ١ديسمبر١٨٩٨ للإلحاح على نابليون فى طلب المدد لقواته التى تناقصت أعدادها ولطلب الذخيرة والمعـــدات يستقبله بونابرت وهو مشغول يستعد لحملة الشام:

يعنى تترك الصعيد ، وتفشل فى قتال الثوار ، غير فشلك فى نقل الحبوب وغلال الصعيد وشحنها إلى

القاهرة وجاى تتبختر ولا السندريلا الفرنسية إنت فاكر نفسك فين فى مرسيليا يا ديزيه ؟

ديزيه : مسيو بونابرت أنا مش ناقص كلامك القاتل ده المصايب فى الصعيد لا تعد ولا تحصى : هجمات الأهالى المستمرة يلقون بأنفسهم أمام المدافع ويقتلون رجالنا ولذلك أبتعد عن التحام رجل لرجل لأن جنودى أصبحوا فى رهبة وخوف من اللقاء المباشر ، وأعتمد على المدفعية ،

ده غير المماليك الذين يضربون بخفة ويهربون ، دا غير العرب الذين يتجمعون حولنا سريعاً دون أن ندرى بهم ويستبسلون فى القتال ،

وغير كده الأمراض خاصة الرمد الذى أضاع بصر المئات من الجنود .

نابليون : طلباتك مسيو ديزيه

ديزيه : أحتاج قوة كبيرة من الفرسان فأكثر من ثلثى القوة قد وقعت بين قتيل وجريح وأسير ومريض ، وأحتاج الى سفن حربية ٠

نابليون : إنت رايح تحارب فى نهر السين ، ولا فى المحيط يا ديزيه

ديزيه : يا كوماندا السفن تحمى رجالنا فى داخلها من هجمات الأهالى والعرب المستمرة ٠

رجالنا مكشوفين ولا فيه مواصلات ولا فيه طرق ممهدة سوى النيل ٠

نابليون : أنا عارف إن عينك تتقلع على السفينة إيتاليا الخاصة بى ونفسك تركبها على العموم أنا مسافر للشام ولن أحتاجها

الآن خذها معاك الصعيد ، ومعاها ست سفن حربية أخرى ، و١٢٠٠ من الفرسان بقيادة الجنرال دافو ومئات من المشاة ومدافع وذخائر كذلك رغم احتياجى الشديد لهم يامسيو كومندان الصعيد ٠

مبسوط جنرال الصعيد كل طلباتك أجيبت يجب أن أرى غلال الصعيد تشحن للقاهرة ومفاتيح البلاد كلها تصلنى وأنا فى الشام ٠

ثم يلاطفه نابليون ليمسح عنه السخرية السابقة وينتهى اللقاء بشئ من الود والقلق ٠

عاد ديزيه الى الصعيد على ظهر السفينة الحربية إيتاليا وجمع رجاله حيث تقدم بهم من بنى سويف فى ١٦ ديسمبر ١٧٩٨ قاصداً جرجا حتى وصل ببا ومنها الفشن تتقدمه طلائع الجيش قرب قرية الفقاعى :-

حادثة الفقاعي

بالبر الغربى للنيل تقع قرية الفقاعى التابعة لمركز ببا خرج بطل صغير غلام لم يتجاوز عمره الثانية عشرة شهد له قادة الفرنسيين بالبطولة النادرة عندما تمكن من التسلل إلى طلائع الجيش قرب الفقاعى وأخذ يستولى على بعض البنادق الواحدة تلو الأخرى حتى أدركه ، أحد الفرنسيين وهو يحمل بندقية

ويعدو بها فضربه الجندى على زراعه ثم ساقة سريعاً إلى الجنرال ديزيه لمعاقبته ومحاكمته التى تمت أمام القادة والجنود الفرنسيين ، وديزيه يجلس تحت ظل نخلة ٠

حيث سأله الجنرال : ما الذى دفعك لارتكاب هذا العمل ٠

الغلام : برباطة جأش ناظراً إلى السماء : إن الله القادر على كل شئ هو الذى أمرنى بفعل ذلك ٠

ديزيه : من الذى حرضك على ما فعلته ؟!

الغلام : لم يحرضنى أحد وإنما ألهمنى الله أن أفعل ما فعلت ثم رفع رأسه ونظر إلى ديزيه وقال له فى هدوء وثبات : هذا رأسى فاقطعوه ٠

بدت الدهشة من شجاعة الغلام على الجنرال وعلى القادة المحيطين به نظراً لثقته فى نفسه وعدم مبالاته بما أمامه من قادة وأسلحة فتاكة لم يعبأ بها ولا بهم •

ديزيه : اجلدوه ثلاثين جلدة بالسياط واتركوه

وبالفعل يتم جلد الصبى دون أن يتأوه أو يبكى أو يتململ •

ولذلك ذكره بليار مساعد قائد الجيش الفرنسى بالصعيد فى يومياته

" إن هذا الغلام إذا عُنى بتربيته كان ذا شخصية نادرة المثال "

أسيوط

بعد الفقاعى انتقل الجيش الفرنسى يبحث عن الجيش العزبى، ويفتش عن مكان وجود جيش مراد بك ، وفى ملوى وقف بليار أمام المدينة وقال: "هذه مدينة كبيرة من أجمل ما رأيته من المدن فى رحلتى ذات شوارع واسعة مستقيمة ، وبيوت منتظمة " ٠

وقد فوجئ الفرنسيون عندما وصلوا ملوى بأن أهلها كانوا قد أقاموا سوراً لحماية مدينتهم ، وبدأوا فى تحصين المدينة من كل جانب ، كما أنهم نصبوا بعض المدافع بالمدينة ، إلا أن الفرنسيين استولوا عليها ولم تصمد أمام المدافع والأسلحة الحديثة الفرنسية ٠

ووصل الجيش إلى أسيوط حيث أعجب بها ديزيه واتخذها معسكراً لجيشه ، وهى حينئذ مركزاً تجارياً هاماً فى المنطقة تصل اليها بضائع من السودان وبلاد المغرب •

ولذلك قال بليار عن قرى الوجه القبلى :

" يظهر أن بلاذ الوجه القبلى أكثر تنظيماً من بلاد الوجه البحرى فالطرق معتنى بها ، وكذلك الترع وفى مفاوز الطرق أسبلة على مسافات معينة يقوم عليها بعض الأهالى يسقون الناس من مائها ، والقرى من المنيا إلى ما بعد ملوى لا تظهر فيها المزابل والقاذورات بمقدار ما رأينا حول غيرها "

معركة سوهاج ٣ يناير ١٧٩٩

تجمع الأهالى والثوار من الصعيد يؤازرهم إخوانهم العرب (فى سوهاج) وكانوا حوالى ٤آلاف و٧٠٠ من الفرسان فأمر ديزيه الضابط دافو بأن يصطحب جزءاً من الجيش لملاقاتهم فى سوهاج ٠

فقام من جرجا الى سوهاج حيث التحمت جموع العرب معهم فىمعركة ضارية ، ولكن العرب تركوا الساحة أمام ضربات المدفعية المهلكة ، ولم تثنهم عن الاستعداد لخوض معركة أخرى والاستمرار فى المقاومة لإضعاف الروح المعنوية عند الغزاة والاستمرار فى استنزاف رجالهم بحرب عصابات

أو بمعارك شاملة ، على الرغم من ضراوة وفتك المدفعية الفرنسية الحديثة بالرجال وبالقرى

عركة طهطا ٨ يناير ١٧٩٩

تقدم دافو بجيشه الفرنسى حتى وصل طهطا فتقابل مع ٨٠٠ فارس عربى ومجموعة كبيرة من الأهالى آثروا أن يتركوا له الطريق ليمر ، ثم ما لبثوا أن هاجموا مؤخرة جيشه فقتلوا منهم عدداً من الجنود ، ولكن دافوا أمر رجاله بإطلاق المدفعية عليهم فأصابت أكثر من ألف فرد من العرب بين قتيل وجريح ، فانسحب العرب وانضموا إلى الجيش الكبير الذى يقوده مراد للالتحام فى معركة فاصلة بعد ذلك ٠

معركة سمهود ٢٢ يناير ١٧٩٩

ازداد عرب الحجاز عدداً وحماسة وانضم كذلك أكثر من ١٥٠٠ من المماليك الذين انضم إليهم أكثر من ٧٠٠ من الفرسان المصريين وبلغ الجميع ما يربوا على ١٢٠٠ مقاتل استعدوا لملاقاة الفرنسيين بزعامة ديزيه فى منطقة سمهود التى نشبت بها معركة حامية الوطيس ولكن الغلبة كانت للفرنسيين الذين جهزوا جيشهم تجهيزاً حديثاً بمدافع فتاكة كانت الميمنة فيه بقيادة الجنرال فيريان .

أما الميسرة فقادها الجنرال بليار وتمركز الفرسان فى الوسط على شكل مربع بقيادة الجنرال دافو واضطر مراد بك للانسحاب جنوباً فى اتجاه فرشوط

بعدها تمكن الفرنسيون من الوصول إلى أسوان وهناك بهرتهم آثار دندرة القديمة حيث وقفوا مبهوتين أمام عظمتها ووقف الكولونيل لاتورنرى وهو كومندان المدفعية الفرنسية أمام معبد دندرة مذهولاً .

وقال فى تعجب :

"من يوم أن قدمت إلى مصر وأنا أعيش مريضاً حزيناً ولكن دندرة قد شفتنى من سقامى والآن لا آسف على شئ وأنا فى مصر ومهما لقيت من اليوم فإن هذه المشاهد ترُد إلىّ الحياة والسرور"

ظلت أعداد كبيرة من الثوار تناوش الفرنسيين وتقلق مضاجعهم وتختطف منهم بعض الرجال وكذلك

الأسلحة بهجوم مستمر يكاد لاينقطع وظل الفلاحون يطلقون النيران على كل فرقة تمر على الشاطئ أو تسبح بسفنها فى النيل ٠

تحية الفرنسيين لطيبة الأقصر

فى ٢٧ من يناير ١٨٩٩ وصل الجيش الفرنسى بزعامة ديزيه إلى جانبى النهر حيث بدا لهم مشهد طيبة القديمة كاملاً ، بما اشتملت عليه من معابد فى الأقصر والكرنك ، ووقفت الفرقة العسكرية كلها من تلقاء نفسها فى تصفيق عفوى دون أوامر أو توجيه صادر لها ، ثم وقفوا فى طوابيرهم فى احترام وتقدير فأدوا التحية العسكرية على قرع الطبول وعزف الموسيقى للحضارة المصرية القديمة ٠

كما وقف دينون (أحد القادة الفرنسيين) وهو مهتم بالجانب الحضارى والثقافى يرسم أول منظر لطيبة ويستند على ظهور رجاله فى الرسم لإتمام لوحته.

وعلق دينون قائلاً :-

" أود أن أعطى قرائى فكرة عن هذا المشهد لأشركهم فى الشعور الذى أحسست به أمام هذه الآثار الجليلة ، وفى العاطفة المثيرة التى جاشت بها نفوس جيش من الجند برهافة حسهم " ، وأخذ يرسم بريشته وأقلامه الرصاص ما رآه .

وبعد أن زار العديد من المواقع الأثرية فى الأقصر طلب دينون من ديزيه مجموعة من الرجال لعمل بعض أعمال الحفر والدراسات على مواقع أثرية

فوافقه على ذلك وبدأ دينون عمله مع رجاله وبعد مرور عدة أيام جلس ديزيه فى حوار مع دينون ، وبعض علماء الحملة ودار بينهم الحوار التالى :-

ديزيه : إيه الأخبار يا دينون ؟ كل يوم رايح جاى فخار ، وأحجار فين آثار الحضارة وفين الكنوز اللى قلبت رؤوسنا عليها ٠

دينون : أمس اكتشفنا سراديب وممرات ربما نصل عن طريقها الى مخابئ وكنوز أثرية عظيمة ، المشكلة إن ثوار المقاومة الملاعين يهددون العاملين فى الحفر ، ويضطرونا الى وضع حراسة مكثفة حول رجالنا ٠

يدخل عليهم أحد الفرنسيين مهرولاً : وجدناها ٠٠ وجدناها مسيو دينون ٠ ٠ وجدناها مسيو ديزيه

دينون : ما الخبر يا رجل أسرع بالحديث وإلا أطلقت عليك نعلى المتهرئ هذا ٠

الفرنسى : عثرنا على مجموعة كبيرة من الآثار النادرة بعضها ذهبية وأخرى فضية وثالثة حجرية وتماثيل لا تقدر بثمن ٠

ديزيه : اتحرك دينون خذ معك فصيلة من الرجال وشدد الحراسة على الموقع لحراسته حتى يتم استخراج الكنوز ونقلها إلى القاهرة حتى يهنأ نابليون بالعظمة والفخار: إتحرك يا دينون إنت ورجالك .

دينون : وهل أنتظر أوامرك مسيو ديزيه هذا ثمار عملي سوف أنتقل حالاً حتى أمتع عيناى بهذه الكنوز العظيمة ٠

انتقل دينون ومعه مجموعة كبيرة من أفراد الجيش الفرنسى لمحاصرة الموقع الأثرى ٠

وعند وصولهم كان وقع الصاعقة على دينون ورفاقه :-

فقد سبقهم أحد أفراد العمال المصريين الصعايدة الذى تسلل وأخبر الثوار بما يجرى فى الموقع فلم يضيعوا الوقت وأسرعوا إليه حيث قاموا بهجوم مباغت سيطروا به على المكان وقتلوا جميع من فيه من الفرنسيين مرددين : اذهبوا الى الجحيم أيها

السارقون يا حراميه ألم تكتفوا بسرقة الأرض وما فوق الأرض ، وتطمعون كذلك فيما تحت الأرض ، ثم انطلق الثوار حاملين ما أمكن حمله من كنوز أرضهم وبلادهم مرددين هذه بضاعة أجدادنا ردت الينا • ثم لاذوا بالفرار إلى الجبل •

ووقف دينون يصرخ وينتحب هو ورجاله :

الأوغاد – المتوحشين – الخراميين .

فهمس أحد رجاله الفرنسيين لزميل له والله الحقيقة إنهم رجال وطنيون ليسوا أوغاداً ولا متوحشين إنهم يدافعون عن عرضهم ووطنهم وممتلكاتهم وكذلك عن تاريخهم وحضارتهم •

أما نحن فأقل ما نوصف به هو أننا سارقين ناهبين متوحشين يجب علينا أن نقف موقفاً صادقاً ونعترف باحترامنا لهؤلاء الثوار ، الذين يحمون أرضهم وأملاك أجدادهم .

معركة الرادسية ١١ فبراير ١٧٩٩

كان الجنرال دافو قد عبر النيل وسار بالبر الشرقى لمهاجمة الأهالى والعرب وبعض المماليك الذين تجمعوا جنوبى ادفو فالتقى الجمعان " وكلاهما من الفرسان " فى معركة دامت ثلاث ساعات كان الاشتباك فيها وجهاً لوجه واستخدم فيها السلاح الأبيض ولذلك كانت خسارة الفرنسيين جسيمة .

إلا أن المعركة انتهت بعدم فوز أحد الفريقين وكذلك حدث فى معركة قنا فى ١٢ فبراير إلا أن الفرنسيين قد خسروا فيها اثنين من القادة أولهم الضابط كورنو الذى جرح جرحاً خطيراً فتنحى عن القيادة للضابط دروس فناله ما أصاب صاحبه ، ولقى الاثنان حتفهما.

الموقف فى الصعيد

ساءت حالة الجنود الفرنسيين وأخذ عددهم يتناقص باستمرار فى الصعيد بين مرضى وقتلى إضافة إلى انخفاض معنويات البقية الباقية من جراء الحملات التى يشنها العرب على معسكراتهم وبسبب المعارك العديدة التى خاضوها فى مواجهة الثوار .

ولذلك شعر الجنرال ديزيه بتعذر موقفه فى الصعيد فأرسل إلى نابليون يخبره بالمصاعب التى يلاقيها ويطلب منه المدد لإخضاع الوجه القبلى ونرى ذلك من خلال رسالة ديزيه الى بونابرت التى يقول فيها :

" إننا نسير بلا انقطاع وقد ساءت حالة الجنود فى ملابسهم وأحذيتهم ولم نستطع للآن أن نجمع إلا النزر اليسير من أموال الميرى على الرغم من الجهود التى بذلناها وأن الثوار العرب مثابرون على مهاجمتنا وعلينا أن نحارب ثلاث قوات مجتمعة هم العرب القادمون من الحجاز والمماليك والأهالى وليس من السهل إخضاع تلك البلاد ٠٠٠٠ إلا أننا

هنا كأننا فى أقصى الدنيا وأن حالتنا محزنة والملاحة فى النيل تكتنفها الأخطار وهأنذا فى قوص أنتظر مراكب قامت من إسنا منذ ستة أيام "

موقعة البارود النهرية ٣ مارس ١٧٩٩م

حقق أهالى الصعيد ومعهم العرب نصراً كبيراً على الفرنسيين فى موقعة برية ونهرية ٠ ظهرت فيها بطولات نادرة وجلداً وصبراً ، فقد تأخرت السفن التى شملت اثنى عشر سفينة حربية تحمل الذخائر والمؤن تتقدمها السفينة الحربية إيتاليا لسيرها ببطئ وحَذَرْ خوفاً من هجمات الأهالى وقد سبقها ديزيه إلى أسيوط . وفى يومِ ٣ مارس ١٧٩٩ م وعندما وصل الأسطول قرب قرية بارود حينئذ

أطلق عليها الأهالى الرصاص فردت إيتاليا بإطلاق المدافع حيث قتلت منهم عدداً كبيراً.

لكن الأهالى والعرب لم يبالوا وهجموا على السفن خلف إيتاليا واستولو عليها عنوة كما قامت مجموعة منهم بإنزال وتفريغ شحنات المؤن والذخائر على شاطئ النيل ثم ركبوا السفن وحاصروا السفينة الحربية إيتاليا محاولين الاستيلاء عليها.

إلا أن موراندى قبطان السفينة ضاعف من إطلاق الرصاص لكن رجال مدفعيته قد أخذوا يتساقطون واحداً تلو الآخر كما أنه شاهد جموع الأهالى على الشاطئ من الجانبين يتحفزون للهجوم على السفينة ففكر فى الانسحاب ولكن لم يستطيع فقد عاكسته

الرياح وجنحت سفينته مما شجع الأهالى والعرب على الإحاطة بها بل والتسلل إلى السفينة من الداخل .

ورغم هذا كله فقد رفض موراندى أن يسلم نفسه ورجاله فأشعل النيران فى مستودع البارود فى السفينة وألقى بنفسه ورجاله فى النهر وأصبحوا صيداً سهلاً للأهالى الذين أحاطوا بهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم ٠

وتـُعد خسارة الفرنسيين فى معركة البارود النهرية من أكبر الخسائر التى منيت بها الدولة الفرنسية حيث كانت السفينة إيتاليا خاصة بالقائد الأعلى بونابرت .

ولذلك عندما وصلته أنباء الكارثة وهو فى حملته على سوريا محاصراً لعكا حزن حزناً شديداً على ما أصاب الفرنسيين وما أصاب إيتاليا ٠

وتشاءم من فقدها حتى أنه توقع كارثة أخرى بضياع بلاد إيطاليا لتشابه الاسم فقال لمن حوله متأثراً :" إن فرنسا فقدت إيطاليا إن شعورى لا يكذبنى"، وبالفعل كان ذلك نذيرا بفقدانها.

استشهد فى هذه المعركة عدد كبير من الأهالى الذين كانوا يرمون بأنفسهم على الفرنسيين وعلى المدافع ليتركوا لغيرهم من الأشاوس السيطرة على الأعداء وعلى سفنهم ، كما جرح عدد أيضاً من المقاتلين الثوار ،وكان من بينهم سلمان بن الشيخ

حسانين الصعيدى(من الحجازية) حينئذ حمله أخوه عثمان إلى بلدته بقنا ، وفوجئ بأن بيته قد أحرقه الفرنسيون فاتجه ناحية بيت عمه حيث وجد جانباً منه قد احترق وسلم الجانب الآخر حيث يقيم فيه أهل عمه وما أن شاهدت فتحية ابن عمها سلمان محمولاً مصاباً تنزف دماوءه حتى أسرعت وهى تبكى تجهز مضجعاً لابن عمها وتضع المياه على النار ،وتأتى بمطهر ، ثم تجلس على ذراع وفخذ ابن عمها تنظف مكان الجرح ودموعها تسبق الماء الدافئ تنساب الدموع كبلسم للشفاء على .الجرحين النافذين وتأتى لولدى عمها سلمان وعثمان بالطعام والشراب ٠

إلا أن عثمان يأكل سريعاً ثم يقبل أخاه سلمان ويستأذن للحاق بإخوانه الثوار فى أبنود حيث يجتمعون للتدريب على الأسلحة والمدافع التى استولوا عليها فى معركة البارود من الفرنسيين ، وإصلاح ما عطب منها لاستخدامه بعد ذلك .

ونظراً لتوجه أغلب الرجال إلى مواقع المعارك فقد خلت البلدة من الرجال ولذلك فقد خلع عثمان سلاحه ،وقدمه إلى أخيه سلمان قائلاً له : خذ هذا السلاح معك فرد عليه سلمان ياخوى ابغى الرجوع للميدان ما أريد ابقى مغ الحريم والفرنسيين فى أرضنا ٠

فيرد عثمان : جرحك نافذ ياولد ابوى خليك اهنه ياخوى على الأجل تحمى حريمنا وبيوتنا دى إحنا بارده سايبين حريمنا فى حما راجل ياسلمان ٠

وترد فتحية : واحنا كمان ردالة ياولد عمى هو انت بس وخوك الى رداله روح الله يجويك إنت واخوانك ولا تشيل همنا ٠

تظل فتحية ساهرة على ابن عمها لاتغمض لها جفون تداويه وتطعمه حتى بدأ يسترد عافيته رويداً رويداً ، وفى كل يوم يحاول الخروج للاطمئنان على أهله وأهل البلدة ليبث فيهم الاطمئنان والأمان ٠

معركة أبنود ٨، ٩، ١٠ مارس ١٧٩٩ م

انسحب الأهالى والعرب وأخذوا يدافعون عن القرى والأماكن التى وصلوا إليها وحاولوا طرد الفرنسيين من كل مكان وصلوا إليه حتى دخلوا أبنود وحصنوا القرية ونصبوا بها المدافع الفرنسية التى غنموها ففوجئ الجنرال بليار وجيشه الفرنسى بتلك المدافع الفرنسية فى يد المصريين والعرب وقد فتكت وأهلكت عدداً كبير من الفرنسيين.

إلا أن الفرنسيين قد أشعلوا النيران فى منازل القرية فاصبحت شعلة من الجحيم ومع ذلك فقد ظل العرب يقاتلون من خلال قصر احتموا فيه فى الوقت الذى كان فيه المماليك يقفون على مقربة من القرية يراقبون الموقف دون تدخل منهم ٠

وظل العرب يقاتلون بشجاعة اعترف بها بليار في رسالته للجنرال ديزيه وتمكن مجموعة من المحاصرين في القصر من النجاه بينما آثر نحو ثلاثين فرداً أن يظلوا بساحة القصر تغطية فرار الباقين ، واستمرت هذه المعارك ثلاثة أيام متتالية دون أن تنتهي بنتيجة حاسمة ٠

واضطر بليار أن يعود الى قنا بعد معركة أبنود وما عاناه فيها وما فقده من رجال وذخيرة محاولاً أن يبعث بأخباره وجيشه الى الجنرال ديزيه في أسيوط ولكن رسله جميعهم قد قتلهم الأهالي في الطريق ولم ينجوا منهم إلا واحداً بلغ أسيوط برسالته ٠

وفى معركة بئر عنبر ٢ ابريل ١٧٩٩ م التقى جيش فرنسى بقوة من المماليك والأهالى فى معركة شرسة قتل فيها عدد من الضباط الفرنسيين منهم الكولونيل دوبلس والضابط هوفاتييه ومجموعة كبيرة من الجنود بين قتيل وجريح وأوشك ديزيه أن يلقى حتفه لولا أن الكولونيل دوبلس قد افتداه بحياته •

الثورة فى المنيا

امتدت الثورة العربية واشتعلت بشكل عنيف فى كل من المنيا وبنى سويف مما جعل دافو ينطلق بقواته فى اتجاه المنيا لمحاولة إخماد الثورة هناك ومر فى طريقه على مجموعة من القرى أمتنع اهلها

عن إمداده بالمؤن التى طلبها فأخذ ينكل بها ويحرق بعضها .

فى واقعة أو جرج

عندما وصل الجنرال دافو بجنده الى أبو جرج أرسل من طرفه رسولاً يطلب المؤنة من القرية فرفض العمدة تقديم أى شئ فأرسل أخر ، ورده الأهالى خائباً دون مدد فأمر دافو بإحراق القرية إلا أن الأهالى من كل القرى اجتمعوا سريعاً حول القرية لنجدتها فامتلأت بهم المزارع المحيطة بالقرية وتبادل الفريقان إطلاق الرصاص لمدة ساعتين ، وبعدها تمكن الفرنسيون من إشعال النيران فى مساكن القرية فأحرقتها .

ثورة المنيا من ٢٣ إبريل ١٧٩٩ يوم ٢٣ :

تجمع أكثر من ٤٠٠ من الأهالى ، ٤٠٠ من عرب الحجاز جنوبى المنيا فخرج عليهم الضابط ديتريس بمن معه من الجند فيها ودارت معركة بين الفريقين بدأت بمحاصرة الأهالى والعرب للجيش الفرنسى ، ولكن ديتريس عمل مربعاً على طريقتهم وسلط مدافعه على الثوار لمدة أربع ساعات دون جدوى فانسحب ديتريس بجنوده إلى داخل المنيا فتعقبهم الثوار خلفهم وهم فارون ،ولم يتمكن الأهالى من دخول مدينة المنيا لجنوح الليل فانتظروا حتى الصباح ٠

وفى اليوم التالى ٢٤

أقبل الثوار بصيحاتهم للقتال بشجاعة وإقدام بعد أن زاد عددهم وهجموا بينما دافع الفرنسيون حتى إذا ما تمكن الثوار من فتح ثغرة فى الباب الشمالى للمنيا دخلوا منه بينما ارتد الفرنسيون للداخل ، وحاول الثوار اقتحام باب آخر ، وملئوا ساحات المدينة وهم يبحثون عن الفرنسيين الذين اتخذوا لأنفسهم مواقع حصينة ومتاريس خلف مدافعهم ، التى أخذوا يطلقونها بغزارة على الثوار اضطرهم فى النهاية للانسحاب من المدينة ٠

وفى اليوم الثالث ٢٥

أقبل مجموعة من العرب (٤٠٠) وبعض المماليك (٤٠٠) ،وكادوا يحيطون بالحامية الفرنسية فى المنيا

لولا وصول دافو بقواته لنجدة الفرنسيين الموجودين والمحاصرين هناك فاضطر الثوار إلى ترك الحصار والابتعاد عن مدينة المنيا مؤقتاً .

وفاة الشيخ الكيلانى

وفى شهر مايو ١٨٩٩ توفى إلى رحمة الله الشيخ الكيلانى بعد أن خاض معارك هائلة ضد الفرنسيين مؤازراً لأهالى الصعيد هو ومن معه من المتطوعين العرب ٠

استمر الأمير حسن (أمير ينبع) يقود ثوار الصعيد ومعهم أهل مكة وليبيا وتونس والجزائر والمغرب بشكل خاص وأهل المغرب بشكل عام يؤازرهم مجموعات من أهل الصعيد فى قتال الفرنسيين فى

مواقع عديدة إلا أن دورهم قد تضاءل بسبب موافقة مراد بيك على مهادنة الفرنسيين ٠

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد باتت هناك أحداثاً ومفاوضات مستمرة للجلاء عن مصر بسبب ما عانه الفرنسيون من المقاومة وتناقص أعداد الغزاه ومحاصرة اساطيل وقوات انجليزية تركية للسواحل والحدود المصرية ٠

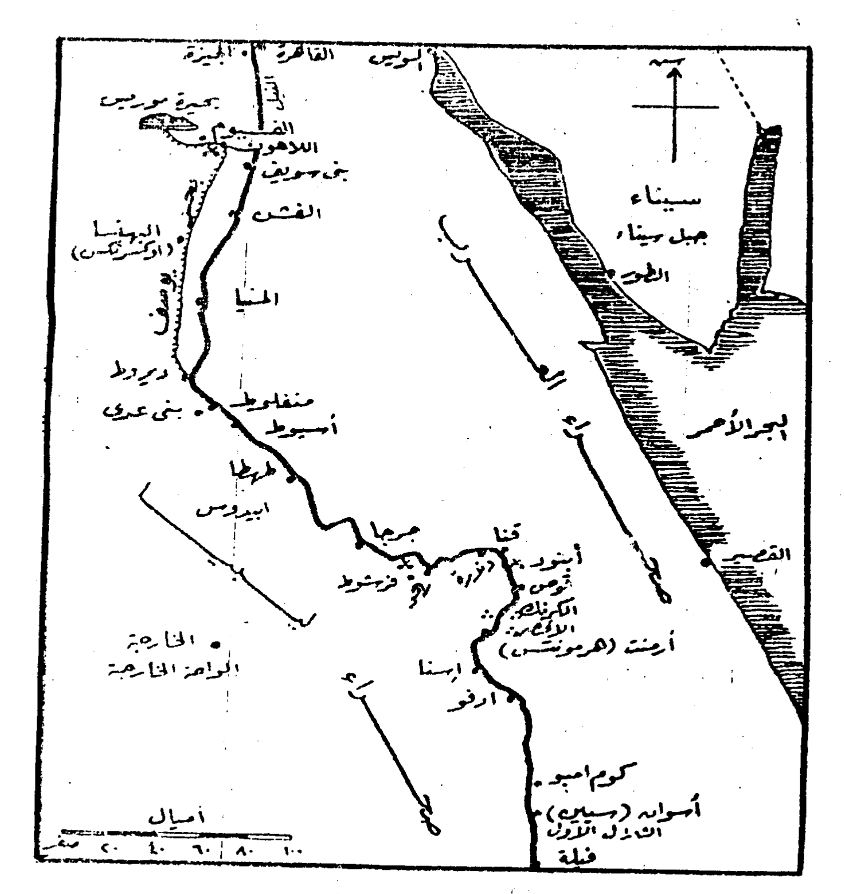
فى قنا

عاد أبو سلمان الشيخ حسانين الصعيدى إلى قريته فوجد سلمان قد شفى ولكن بقيت له عاهة مستديمة فى قدمه فأراد أن يأخذه معه عائداً الى الحجاز إلا أن سلمان أخبره أنه لايستطيع السفر دون

محبوبته فتحية ، وأخذ يلح على أبيه فى طلبها من عمه (أبوها) فرحب حسانين ، وأقيم حفل الزواج ثم جلس مع ابنه متسائلاً :

ألم يأن لنا أن نعود إلى أرض الحجاز فرد سلمان بأنه طابت له أرض مصر وأحب أهل الصعيد وعشق منهم فتاته ، ويريد أن يبقى لحماية أهله وأهل عروسه .

وافقه الوالد واستودعهم الله عائداً إلى الحجاز من أرض عربية إلى أرض عربية .



مصر الوسطى والعليا

رقم الإيداع بدار الـكتب والوثائق القومية

٢٠٠١/٩٩٦٩

الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
تليفون : ٥١٠٦٧٧٢٤ ـ القاهرة